

الرحلات المغربية الحجازية ٢٠١

رحلة العبدري والورتيلاني والسنوسى



شـ. أـحمد عـسـارـيـ الـجزـائـرـ

كما ورد قوله تعالى في اختبار وتنزمن مكان النزول، «وَقَلْ رَبُّ الْنَّازِلِيْنَ مِنْ لَمْبَرْكَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَنْزَلِيْنَ» (المؤمنون: ٢٩). وفي السير ليلًا، «وَأَوْهِبْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِيَ بِعِدَادِكُمْ مُتَبَعِّنَ» (الشعراء: ٥٢)، وفي السير في الأرض للاطلاع من عاقبة المجرمين قال، «فَلَمْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» (النَّحْل: ٧٠).

وفي اللجوء إلى جنة الكريم قال تعالى، «فَخَرَجَ مِنْهَا خَاطِئًا يَتَرَبَّ قَالَ رَبُّ نَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَلَا تَوَجَّهْ تَنَاهِيَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّنِ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوْءَ السَّبِيلِ». وما ورد عاليه مدين وجده عليه أمة من الناس يسكنون... فلما قبس موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا... (القصص: ٢٩، ٢٢، ٢١، ٢٠)، وفي السير في الأرض تتدبر معانٍ الخلق والخلقة قال تعالى، «فَلَمْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظَرُوا كَيْفَ بَدَا الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يَسْتَشِئُ النَّشَأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَنِ الْعِنْكِبَوْتِ» (العنكبوت: ١٩).

كما فعل القرآن الكريم بذكر قسم الأنبياء الراحلين والمتقلبين أمثال نبى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ونبى الله موسى عليه الصلاة والسلام، وداود وسلیمان عليهمما الصلاة والسلام... كما حفلت السنة النبوية المطهرة القولية والعملية والتقريرية بتناول موضوع الرحلة والسفر، وكما ذكرت السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في فترة الدعوة المكية إلى العائف وإلى أسواق العرب في عكا وذي الحجاز، كما أمر أصحابه رضوان الله عليهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين، وهاجر هو عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام من مكة إلى المدينة، وكما ذكرت السنة النبوية المطهرة أنه خرج

* أهمية وأنواع الرحلة عند المسلمين

حصل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي نصت بصريح العبارة على الرحلة والسير والضرب في الأرض والهجرة والسعفي والخروج والتجاة بالهروب من القوم الظالمن والتروح والفدو والسرب... فقد قال تعالى في فضيلة السير والضرب في الأرض، «أَقْلَمْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذْنَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَيْمَارَ وَلَا تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصَّدُورِ» (الحج: ٤٤)، وقال تعالى، «أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَشَارُوا الْأَرْضَ وَعَسْرُوا هُنَّ أَكْثَرُهُمْ بِالْبَيْنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (الروم: ٩)، كما قال سبحانه وتعالى في السير في الأرض، «فَلَمْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكُونَ» (الروم: ٤٢)، وقال تعالى، «أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُنَّ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَشَارُوا فِي الْأَرْضِ هَذَا خَدْمَهُمُ اللَّهُ بِذَنْبِهِمْ وَمَا كَانُوا مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقِعٍ» (غافر: ٤١)، وقال تعالى، «أَقْلَمْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَأَشَارُوا فِي الْأَرْضِ هَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (غافر: ٨٢).

كما قال تعالى في فضيلة السير والابحار بالفالق في البحر، «أَلَمْ ترَ أَنَّ الْفَالِقَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيَرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَلْكُمْ صَبَارٌ شَكُورٌ» (لقمان: ٣٠)، وقال تعالى، «فَلَمَّا رَكِبُوا فِي الْفَالِقِ دَعَوْا اللَّهَ مِنْ خَلْقِهِنَّ لِهِ الَّذِينَ فَلَمَّا تَجَاهَهُمْ إِلَى الْبَرِّ اذْهَمُوهُنَّ بِأَنَّهُمْ يَشْرِكُونَ» (العنكبوت: ٦٥)، وفي فضيلة السير في البر قال تعالى، «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا قَرَى ظَاهِرَةً وَقَدْرَنَا فِيهَا السِّيرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَامًا مُّنِينَ، قَاتَلُوا رِبَّا بَعْدَ رِبَّا أَسْفَارًا وَظَلَّلُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمِرْقَاصَاهُمْ كُلَّ مُرْقَاصٍ فِي ذَلِكَ لَا يَلْكُمْ صَبَارٌ شَكُورٌ» (سباء: ١٩، ١٨).



وتمسّكه بجناحه الآخر وعدم الاستفهام عنه.

- ٤ - لطول المسافة بيته وبين بلاد الحجاز، وتنوع الأقاليم الجغرافية والمناخية المؤدية إليه.
- ٥ - تنوع المجتمعات الإسلامية والأنظمة الحاكمة ما بينه وبين بلاد الحجاز.
- ٦ - تنوع مسالكه البرية والبحرية، وكثرة الأخطار والأحوال في الطريقين البري والبحري.
- ٧ - للناكيد على مدى علاقة المغرب بالشرق، والارتباط الوثيق الذي يكتبه المغرب للمشرق.
- ٨ - لكانة البيت الحرام ومهبط الوحي ومناسك الحج والعمرة ومدينته رسول الله صلى الله عليه وسلم لدى سكان المغرب.
- ٩ - للاستفادة من خبرة وتجارب ومعلومات وأخبار الرحلة الحجازيين المغاربة.

ومن هنا فقد كانت الرحلات الفريبية الحجازية عموماً أشبه ما تكون اليوم بالتحقيقات الصحفية والإعلامية أو بالاستطلاعات المكتوبة، أو بالكتب والموسوعات العلمية الشاملة عن المناطق جغرافياً وديموغرافياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً أو بدواوين المعرف الشاملة عن تلك المناطق.

وقد بين الحقائق الأستاذ أحمد بن جدو في مقدمة تحقيقه للرحلة الفريبية (ابن محمد العبدري البليسي ت ١٢٩٤م) أهمية الرحلة الحجازية للحجاج المغاربيين، بالرغم من مشاقها ومتاعبها وأخطارها المحدقة بقوله: .. ولا شك أن الرحلة المغربية لها أثر عظيم و مهمه كبير، إذا نحن لا حظنا عدد النسخ الموجودة منها. فقد كان لها شأن عند القراء والكتاب للاطلاع على أحوال المغاربي في ذلك الحين، فتناولوها بالنقل والدراسة، تعرّفوا تراجم كثيرة من أعمال العلم والأدب، ووسعوا آثار قديمة وأماكن مختلفة. لم يذكرها من سبقه من الرحاليين القدماء.

(٦)

فهي فيما يخص البيقاع التي يحل بها ويرتجل منها، من جبال وأودية وسهول وأنجاد روحًا حية خلقة، تقلى على الكل شعاعاً يلمس، وبلا شك أن هذه المناظر الجذابة كانت تؤثر في نفسه. فيساهم شعوره في وصفها، فلا يختلف فيها ولا عنق لهرة قلمه حتى اتنا تأثر بها كما تأثر دون أن نشاهدتها بأعيننا.. ومع هذا كان لا يمكن بموضع لا ليلة أو بعض ليلة، لأن القائلة لا تزال في حركة مستمرة نحو البيقاع المقدسة التي هي الهدف المحبوب لكل حاج، يطلبها طلبًا حثيثاً.. والرحلة الغربية عقيدة جداً من كونها مصدراً وأفراً لترجمات كثيرة من العلماء..).

(٧)

وقد أشار الباحث (أحمد بن جدو) في صدر مقدمته إلى وجود العديد من الرحلات الحجازية المغربية الواجب الاهتمام والاعتناء بها، وتحقيقها، ومنها رحلة ابن التريكي، والزنافي، ورحلة محمد بن مسائب، الذي وصف رحلته من تلمسان إلى مكة، ووصف فيها عواطفه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف الأماكن التي مر بها المؤدية إلى بلاد الحجاز أو داخل الجزيرة العربية والتي رويت بالشعر الملحون باللهجة الجزائرية، والتي نشرت في مجلة الإشراقية بالقرن التاسع عشر بترجمة محمد بن أبي شتب سنة ١٩٠٠م، ورحلة الشيخ عبد الرحمن الجاجي المنقولة بالشعر القصيبي وعنوانها (رحلة إلى مكة). (٨)

وكذلك الأمر للرحلة الجزائري ابن مريم ورحلته البستان التي طبعت في الجزائر سنة ١٩١٠م بتحقيق وإشراف الأستاذ البحاثة

عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة مع أصحابه في سفر، أو زمعوا سفراً، بل معظم غزواته كانت في سفر. (٩)

وقد بين أهمية الرحلة عند المسلمين الدكتور تيلولاً زيادة بقوله: (.. كانت الرحلة عنصراً قوياً في حياة المجتمع الإسلامي في عصوره الظاهرة. فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي، ولقوا في سبيل ذلك الكثير من صعوبات السفر التي تحملوها راضين مسرورين. ورحل الناس في طلب العلم من قطر إلى آخر، فقد كان العلم منتشرة مراكزه في أنحاء العالم الإسلامي، وطلابه كانوا يتخللوا من الشاق في سبيل الحصول عليه ما يحملنا على احترامهم واجلالهم. ورحل القوء في سبيل الاتجاه، فقد كانت الأسواق الإسلامية هي مشارق الأرض وماراها مرتبطة ببعضها بعضاً كل الارتباط، وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم إلى حيث يرجون الربح الوفير. أضف إلى ذلك رحلة الرسل المتزددين بين الملوك والأمراء، والمفاسير الواجهين في الرحيل لذمة خاصة، والساعين في سبيل الرزق إذا ضاقت بهم الأرض، وجوابي الآفاق. كل هذه تنادج من الرحلة عزفها العرب والسلمون على مدار حضارتهم). (١٠)

ومن هذه المنطلقات جميعها اكتسبت الرحلة أهمية لدى المسلمين، كما اكتسبت أهمية لدى سكان العالم الإسلامي في جناحه القروي (المغرب الأقصى، المغرب الأوسط، المغرب الأدنى، طرابلس وبيرقة، السودان الغربي).

أنواع الرحلات

وهي أنواع عديدة، منها الرحلات لطلب العلم، كرحلة محمد الكي الدرعي الناصري المتوفى سنة ١٢٨٣هـ ١٧٧٧م مصاحب (الرحلة المراكشية)، ومحمد بن زاكور الفاسي المتوفى سنة ١٢٧٨هـ ١٨٥٣م (١)، والرحلة الاستطلاعية كرحلة أبو حميد الغرناطي (٤٧٦ـ ١٩٥٦هـ ١٨٨٠م) صاحب رحلة (تحفة الآباء ونخبة الأعجاب)، ورحلة الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـ (أبيون - الأسد الإفريقي) سنة ١٤١٦م، والتي أسر خلالها وحمل مغلوظاً إلى اليابان العاشر بروم، وألف له رحلته الشهيرة (وصف إفريقيا). (٤)

ورحلات السفارة بين المالك والملوك كحال رحلات الشیخ العلام عبد الرحمن بن خلدون (ت ١٤٠٨هـ ١٩٨٠م)، ورحلات الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب (١٣٧٤ـ ١٣٧٦هـ ٧٧٦ـ ٧٠١م) من أمير مملكة غرقاتلة إلى أمير المرينيين يশان وسمها (خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف)، ورحلة التمثروتي سنة ١٥٨٠م مكلفاً من قبل السلطان المريني أحمد التمثوري إلى عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول. ومن الرحلات ما كان يفرض التجارة والتبادل بين جناحي العالم الإسلامي، التي كانت تسلك الطريق البري الساحلي، والطريق البري الداخلي الصحراوي. (٥)

أهمية الرحلة المغربية الحجازية

للرحلة الحجازية المغربية إلى البلاد المقدسة مكانة كبيرة لدى سكان المغرب (الأدنى تونس، الأوسط الجزائر، الأقصى المغرب، طرابلس وبيرقة، والسودان الغربي موريتانيا) خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً، لاعتبارات عديدة، أهمها:

١ - لتشكيل المغرب الإسلامي أحد جناحي العالم الإسلامي.

إليه الناظل المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق). وقد سماها الحلاق (الرحلة المغربية). (١٧)

٨- رحلة ابن رشيد الأندلسي ت ٧٧٢هـ.

وحلّة مغربى أندلسى مشهور، قام بالعديد من الرحلات. ثم دونها في كتابه الشهير (ملء العيبة فيما اجتمع ينطون القيبة في الرحلة إلى مكة ومتيبة). (١٨)

٩- رحلة أبو البقاء البلوي ت ٧٣٦هـ.

هو أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي، رحلة مغربى أندلسى مشهور، قام بالعديد من الرحلات ثم دونها في كتابه الشهير (أناع المعرفة بتحليلة علماء المشرق). (١٩)

١٠- رحلة أبو محمد عبد الله التيجانى التونسي ت ٧٥٠هـ.

هو أبو محمد عبد الله التونسي، ولد بين سنتي ٦٧٠ و ٦٧٥هـ في تونس العاصمة.

له رحلة مشهورة تسمى باسمه (رحلة التيجانى)، طبعت بتونس سنة ١٩٥٨م بمراجعة المؤذن التونسي حسن حستى عبد الوهاب. (٢٠)

١١- رحلة ابن بطوطة الطنجي ت ٧٧٧هـ.

وحلّة مغربى مشهور، هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتى الطنجي، ولد في طنجة ببلاد مراكش سنة ٢٠٤هـ، وقام بالعديد من الرحلات، دامت رحلاته سبعاً وعشرين سنة، أعلاها على الفقيه العلامة محمد بن جزى الكلبي، والتحق من كتابتها سنة ١٣٥٦م، وسمّاها (تحفة الناظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). (٢١)

١٢- رحلة أحمد بن قاسم البوني ت ١١٣٩هـ.

صاحبها هو أحمد بن قاسم بن محمد ساسى البوني (نسبة إلى مدينة بونة المعروفة اليوم باسم عنابة). وقد ولد بعنابة سنة ١٠٦٢هـ وتوفي فيها سنة ١١٣٩هـ، وله عدة تأليف ذكرها في إجازاته، ويعتبر من أهل الرأى والصلاح والعلم والاشتوى في الجزائر في أواخر العهد العثماني، وقد ترك رحلة حجازية مغربى اسمها (الروضة الشافية في الرحلة الحجازية)، ولكن رحلته ضاعت. (٢٢)

١٣- رحلة عبد الرزاق بن حمادوش ت ١١٩٧هـ.

ورحلته تسمى (السان القال في النبا عن النسب والحسب والحال)، وقد ضاعت كلها، وطبع الجزء الثاني منها بالجزائر سنة ١٩٨٣م بتقديره وتحقيقه وتعليق الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله. وقد ولد عبد الرزاق بن حمادوش بالجزائر العاصمة سنة ١١٠٢هـ في أسرة كانت تُحترف مهنة الدباغية، وتوفي في مكان غامض بعد تسعين سنة، وقام برحلته الحجازية سنة ١١٢٥هـ. (٢٣)

١٤- رحلة العباشى ت ١٦٧٩هـ.

وتسمى رحلته (ماء الموائد) المطبوعة بقاس بالقرب، وتشابه رحلة السنوسى ورحلة العباشى في جزئها الثالث، حيث أفرد فيها الحديث عن العلم وأهله وفضله وترجم لعلديه من رجاله، وأحياناً فيها معاالم طريق حج المقاربة، والأماكن الآمنة لسير القوافل المغاربية الحجازية. (٢٤)

١٥- رحلة أبو العباس الدرعى ت ١٧١٧هـ.

صاحبها هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى، صاحب الرحلة الحجازية المعروفة بـ رحلة الدرعى، أو (الرحلة المراكشية)، التي تشابه رحلة العباشى، إذ سجل فيها خبر رحلاته الأربع بلد الله الحرام، وكان يحفظ عن ظهر قلب نص رحلة العباشى التي تأثر بها أيضاً تأثر. (٢٥)

الدكتور محمد بن أبي شنب، وابن الفكتون صاحب رحلة منشور الهدایة، التي مازالت مخطوطة في المكتبة الوطنية الجزائرية. بعد أن أهدىها المرحوم الشيخ المهدى البوعدانى. (٢٦)

شهر الرحلة المقاربة

اشتهر المغرب الإسلامي بكثرة عدد رحاله، لعلنا ذكر منهم الآتي، (٢٧)

١- رحلة ابن حوقل ت ٣٢٧هـ.

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى، رحلة مغربى قام بالعديد من الرحلات دونها في كتابه الشهير (المسالك والممالك). (٢٨)

٢- رحلة أبو عبد البكري ت ٤٤٨هـ.

هو أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري الموسى القرطبي، أصله من مرسيبة، وقد سكن قرطبة زمنها، وهو مؤرخ ورحالة وجغرافي وفقيه ولغوى وصالح بالآنساب والأخساب، مغربى المستقر، له العديد من المؤلفات، أشهرها (المسالك والممالك - المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب). (٢٩)

٣- رحلة أبو بكر الزهري القرنطاني ت ٥٣٢هـ.

وحلّة مغربى، ولد بقرنطاطة ورحل في البلاد، ثم ألف كتابه عن طبائع أهل المغرب وتبيينا ومحسن له كتاب في الرحلة أسماء (الاستبصار في عجائب الأنصار). (٣٠)

٤- رحلة الشريف الإدريسي ت ٥٤٨هـ.

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس العلوى القرطبي الصقلانى، ولد سنة ٤٩٣هـ في قرطبة وبها تعلم وظاف في البلاد ثم نزل على حاكم صقليلة ووجاهي الثاني فأجله وأعلاه لسعة علمه، وألف له كتاباً في الجغرافية أسماء (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق). (٣١)

٥- رحلة أبو حامد القرنطاني ت ٥٦٤هـ.

هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن القيسى القرنطاني، ولد في مدينة شرnatاطة ورحل إلى مصر فبقياد وخرسان وحلب، ثم جاء دمشق ومات فيها، له كتابان في الرحلات هما (المغرب في عجائب المغرب) و(تحفة الأصحاب وذخيرة الأصحاب). (٣٢)

٦- رحلة ابن جبیر الأندلسي ت ١١٤٦هـ.

هو أبو الحسن محمد بن جبیر بن سعید الكنانى الأندلسى البنسى، ولد في بلنسية عام ٥٣٩هـ وتوفي في شرnatاطة سنة ٦١١هـ، له رحلته الشهيرة (تذكرة بالأخبار عن الفتايات الأسطار) المعروفة برحلة ابن جبیر. (٣٣)

٧- رحلة أبو محمد العبدري ت ٦٨٧هـ.

هو أبو محمد بن محمد بن علي بن احمد بن مسعود العبدري البنسى لا تعلم سنة ميلاده، وتعلم سنة وفاته بالتقرب سنة ٦٨٧هـ (٣٤)، ورحلته و تاريخ ابتدائاتها يوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعده عام ثمانين وثمانين وستمائة، وقد حققها الأستاذ أحمد بن جدو الاستاذ بكلية الاداب بجامعة الجزائر سنة ١٩٩٠م، وطبعت بمطابع البيث بقسنطينة سنة ١٩٧٠م.

وتعود وثيقة هامة لمعرفة أحوال البلاد الإسلامية المغاربية في عهد نهاية دولة الودعدين، وهي رحلة مغربى حجازية ضاع الجزء الكبير منها وانشققت ببلاد الحجاز، وإن كان الرحالة قد أشار في العديد من المواقع إلى بقائه بمكانة وأخذته العلم على يد مشايخها وسمّاها (ما سما

بالعلم والأدب والمكانة، يعود أصلها إلى جبيل ستوس بالقرب من مستقامت بالغرب الجزائري، وانتقل أجداده مع الشيخ محمد بن علي السنوسي إلى تبليسا سنة ١٨٢٩ م / ١٢٤٤ هـ واستقر بها، ومنها انتقلوا إلى تونس العاصمة وتقلدوا في الوظائف الدينية والعلمية، وكان جده والدته قاضيين مالكيين بالحاضرة التونسية.

التحق بجامع الزيتونة وكان من الدجت تلامذته، وتخرج منه يحمل شهادة التطوع سنة ١٨٧٧ م / ١٢٦٧ هـ ودرس فيه ستين، ثم عيشه ياتي تونس مؤدياً ومعلمًا لابنه الأمير محمد ناصر باي، وظل يتقلب في المناصب الحكومية، ومنها محرر الجريدة (الراصد التونسي)، ولما انتخب الأمين العامية الفرنسية على تونس سنة ١٨٨٣ م تلقى نفسه للهجرة، فمنعته السلطات التونسية من الهجرة فتعلل بأداء فريضة الحج فأذنت له بالسفر، وشادر تونس يوم ٧/٧/١٩٩٩ هـ الموافق ٢٥/٢/١٨٨٢ م، وآتى إليها من رحلته الحجازية في ٢٦/٤/١٣٠٠ هـ.

أما تاريخ كتابة هذه الرحلة الحجازية فقد أشار إليه في الصحفتين الثالثة والرابعة من نفس الجزء الأول في موافق عام ١٨٨٥ م، وقد كتبها في ثلاثة أجزاء، ذكر في الجزء الأول زاوية السفر، ثم وصف رحلته إلى إيطاليا، وفي الجزء الثاني تكلم عن رحلته إلى الأستانة وأسيا الصغرى وببلاد الحجاز التي رأها في الأشهر الحمراء، وهي الجزء الثالث معلومات وأخبار وترجم وتحقيق وتعريف ب مختلف الصحافة وبالرجال وبالنشاطات السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والأدبية والصحفية للبلاد التي زارها. (٣٠)

حضور الشيخ محمد السنوسي امتحان طلبة العلم بمكة المكرمة قال المؤلف، وما دخلت مكة المشرفة، واقمت بها ثلاثة أيام، وصلتني بطاقة هذا تنصها: (سيدي الهمام سنوسي زاده السيد محمد أفندي غب السؤال أرجو حضوركم حالاً حيث في هذه الساعة صائر امتحان طلبة العلم في رحاب مولانا وأستاذنا الشيخ رحمة الله لا تؤخر فرصة أن أمكنك إنما الدهر كثير العطاء.
والسلام في البدا والختام من الداعي محمد إسحاق الأدهمي ذي القعدة ١٢٩٩ هـ).

فلم أترى أن شيرت البيستي، وكانت مدرسة الشيخ تسمى الخندريسة، ومحلاها سوق الليل من مكة المشرفة، فتوجهت وبمعيتي (حسن صباح) مطوف التوتسين، فوجدت المجلس محظيًا بحضوره الأستاذ المذكور ونحو أربعة من محضلي علماء الهند، منهم الشيخ عبد السلام الداهلي يحدث وتنقيب السادسة بمكة، وأفراد آخرون من علماء الشام، منهم مقتنى جبلة الشيخ محمد الإسحاقي الأدهمي، ومنهم الشيخ خير الدين البيضاوي، ومنهم الشيخ محمد الرافعي، وغيرهم فأجلسوني بينهم في دائرة المنشورة، فإذا التلميذ هو الشيخ عبد الله بن حسين الداهلي من لازم الخندريسة إلى أن صار بها علاماً، والدرس الذي يقرئه حزب من التفسير، فكان جميع الحاضرين يسائله في أثناء تقريره ويبحث معه فيه، وهكذا أقرأ درساً من صحيح البخاري يشرح القسطلاني، ودرساً من سلم الثبوت في الأصول فأجاد في جميعها وعرضت له توقعات في أثناء التقرير أوردها الجاما، وتحمل لها أجوبة غير مرحبية.

فحضرتني فيها ما أظهره الشيخ استحسانه، وعند فراغه جلس للأمتحان تلميذ آخر أخذ يرقن الدر المختار، إلا أنه لم يكن كاللهم

١٦- رحلة أحمد القادي ١٢٢١ م / ١٧٢١

(٢٦)

صاحب الرحلة المسماة (نسمة الأنـس في حجـة سـيدـنا أـبي العـباسـ).

١٧- رحلة ابن عمارت ١٢٣٤ هـ

وهي الرحلة التي كتبها مفتى المالكية بالجزائر في زمانه أحمد بن عمار العماري، المجهول تاريخ الولادة والوفاة، وبعد ابن عمار من ضلحاء عصبة وأهل الرأي والعلم فيه، وهو أديب وكاتب وناشر وشاعر فضل وفتق صاحب رأي واجتهاد في الدين والمجتمع، ولله العديد من المؤلفات، وقد حج البيت سنة ١١٦٦ هـ، وجاور يمامة مدة طويلة وصلت به إلى سنة ١١٧٢ هـ، وقد ذكر في رحلته الكثير من القضايا التي لا يمكن للحجاج العابرين معرفتها، وعنوان رحلته (نحلة الليبي في أخبار الرحلة إلى الحبيب) التي طبعت سنة ١٩٠٢ م بالجزائر، وقد ترجم في رحلته لأكثر من مائتي عالم.

وقد قسم رحلته إلى ثلاثة أقسام، جعل في القسم الأول خزانة للأدب في أحوال مكة والمدينة والمجاز من شعر ونثر وحكمة، وقد ذكر فيها نيته في القيام بأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، وتحدث فيه عن القسم الثاني والثالث، وقد قام بأداء فريضة الحج سنة ١٢٠٤ هـ، وجاءه في بلاد المجاز ما يقارب التي عشر سنة ثم عاد إلى الجزائر، وكتب الرحلة بعد ثلاثين سنة من عودته. (٢٧)

١٨- رحلة محمد أبو راس ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٣ م

ولد محمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي العسكري المعروف، يابن راس الناصر بالقرب من معسكسن سنة ١٢٣٤ م، وتعلم بالغرب الأقصى ووصل إلى درجة عالية من العلم، واحتل مكانة مرموقة بين علماء عصره، ثم سافر للحج أول مرة سنة ١٢٠٤ هـ وعاد سنة ١٢٠٥ هـ، وألف كتابه الشهير (عجائب الأسفار والطائف الأخبار) سنة ١٢٠٦ هـ، وقد نشرته مجلة المبشر الجزائرية على حلقات ابتداء من فاتح يناير سنة ١٨٨١ م ووحج مرة ثانية سنة ١٢٢٦ هـ، وعاد في السنة الموالية ١٢٢٧ هـ، باسم رحلته الأولى (عذتي ورحلتي في تعداد رحلتي)، ورحلته الثانية عنوانها (فتح الآلهة ومنتها في التحدث بفضل ربها ونعمته)، وقد أكثر فيهما من ذكر شيوخه واساتذته، ومن جاد لهم ونازفهم من العلماء، وقد سلك في رحلته طريق المعادي، ثم ركب البحر من مصر إلى بيروت، ومنها إلى مكة المكرمة، ثم عاد منها بعد أدائه لفريضة الحج، ودخل مصر بعد أن جلت عنها الحملة الفرنسية، ووصف أحوالها أيضاً، كما وصف أحوالها قبل الحملة. (٢٨)

١٩- رحلة الحاج ابن الدين الأغواتي

رحلة قام بها الحاج ابن الدين الأغواتي إلى بلاد السودان والشمال الإفريقي ومصر والحج، وذهب إلى (الدرعية) عاصمة الدولة السعودية الفتية آنذاك ووصفها بدقة، وكان الانتهاء من كتابة الرحلة بين سنتي ١٢٤٤-١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩-١٨٣٠ م بعد أن عاد من الحج سنة ١٢٤٣ هـ.

وقد بين الدكتور أبو القاسم سعد الله أهميتها في رسم صورة للمناطق التي زارها الأغواتي في العقد الثالث من القرن التاسع عشر، كما أنها تحتوي وصفاً دقيقاً للدرعية عاصمة الدولة السعودية سنة ١٢٤٣ م / ١٨٢٧ (٢٩).

٢٠- رحلة محمد بن عثمان السنوسي الحجازية ١٢١٨ هـ / ١٩٠٠

ولد محمد بن عثمان بن محمد السنوسي بحاضرة تونس يوم ٢٢ ذو القعده ١٢٦٧ هـ الموافق ١٨/١٥١ سبتمبر ١٩٥١ م في أسرة شهيرة

يسلمها تلامذته، ويعطي هو فيها التوصيل وبأخذة. وكانت المسائل باللسان الهندي، إلا أنه كلما أجاب عن مسألة ذكرها باللسان العربي، وهكذا استمررتنا الجلس نحو الساعتين. وبعدها سعدنا إلى أعلى المدرسة فجلسنا لتحادث.. وصررت مسائل ولو لا خشية الإطالة لعرضتها...). (٢١)

* يتعين في العدد القادم

الأول، بحيث أوردت عليه بعض تفاصيل، توقف بها عن التقرير، وطال درسه إلى أن ضيق الوقت باقترب زماننا، فاستاذنا الشيخ ووعدته بالعود للجتماع قليلاً يتيسر لي الاجتماع معه إلا بعد يومين، فحضرت عنده فإذا بوقفه من الهند يأتون بامانات لهم وأخرين يتطلبون بامانات آخر وأخرين يسألون عن مسائل من الحج، وكان الشيخ متعددياً في جميعهم، بحيث إن أمانات المال أو الملة يتسلمهما أو

الكتاب والمتأثر

- (١) ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ مـ، ج ٢، ص ٣..٤١، باب الهجرة إلى المدينة.
- (٢) نقولا زياد، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨ مـ، ص ١٥.
- (٣) مولاي يحيى الجميسي، الجزائري من خلال رحلات المغاربة في المعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، الطبعة الثانية، ١٩٨١ مـ، ص ١٠.
- (٤) المراجع نفسه، ص ١١.
- (٥) المراجع نفسه، ص ١١، وتأسّر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ مـ، ص ١٦..
- (٦) محمد العبدري اللبناني، الرحلة الموريتانية - ما سما إليه الناظر المطرقي في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق، تحقيق الأستاذ أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب، الجزائر، مطبعة دار البحث، قسنطينة، دون طبعة، دون تاريخ، ص ٣٧، ط.
- (٧) محمد العبدري اللبناني، الرحلة الموريتانية، من، ١٩٨٣ مـ، ج ٣، ص ٩١ و ٩٠.
- (٨) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، دار الفرق الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠ مـ، ج ١، ص ١٧٨ و ١٧٩.
- (٩) مولاي يحيى الجميسي، الجزائري من خلال رحلات المغاربة في المعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ مـ، ص ١٢.
- (١٠) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، دار الفرق الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠ مـ، ج ١، ص ١٧٨.
- (١١) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دون طبعة، ١٩٨٣ مـ، ج ٣، ص ٨٨..٩٠، ومولاي يحيى الجميسي، الجزائري من خلال رحلات المغاربة في المعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ مـ، ص ١٥.
- (١٢) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون طبعة، ١٩٨٣ مـ، ج ٣، ص ٩١.
- (١٣) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٨٨.
- (١٤) نقولا زياد، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨ مـ، ص ٤٢..٤٣، وجرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، مطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، دون طبعة، ١٩٨٣ مـ، ج ٣، ص ٩٠.
- (١٥) رحلة ابن حمادوش الجزائري، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣ مـ، ص ١٨١ و ١٨٢.
- (١٦) مولاي يحيى الجميسي، الجزائري من خلال رحلات المغاربة في المعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، الطبعة الأولى، ١٩٨١ مـ، ص ١٣..١٤.
- (١٧) محمد العبدري اللبناني، الرحلة الموريتانية - ما سما إليه الناظر المطرقي في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق، تحقيق الأستاذ أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب، الجزائر، مطبعة دار البحث، قسنطينة، دون طبعة، دون تاريخ، ص ٣٧، ط.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٣.
- (١٩) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دون طبعة، ١٩٨٣ مـ، ج ٢، ص ٦٣٨..٦٣٩، ونقولا زياد، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨ مـ، ص ٢٠٠..٢١١.
- (٢٠) رحلة ابن بطوطة، من مقدمة الدكتور جمال الدين الرمادي، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠ مـ، ج ٢، ص ٦٢ و ٦٣.
- (٢١) رحلة ابن بطوطة، من مقدمة الدكتور جمال الدين الرمادي، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠ مـ، ج ٢، ص ٦٢ و ٦٣.